# بول ريكور و الترجمة- الترجمة وظيفة إنسانية-

**د.حسان راشدي**
**قسم اللغة والأدب العربي**
**جامعة سطيف2**

***Résumé***

*Cet article est une réflexion, sur la place de la traduction dans la pensée de Paul Ricœur. En effet, Ce théoricien de l'interprétation et de l'herméneutique a élaboré une philosophie de la traduction, comme un processus de reconstruction du sens; et cela à travers une reconstruction de l'unité plurielle du discours humain;* ***(l'hospitalité langagière).***

***ملخص***

*يتّخذ هذا المقال من مكانة الترجمة في فكر "بول ريكور" **(Paul Ricœur)** موضوعا له. هذا المنظّر الكبير في مجال التأويل و الهرمينوطيقا أخذ على عاتقه التفكير الفلسفي حول الترجمة مركزا على تأويل النصوص.*

*تعدّ مسألة "أمانة/خيانة" تجاه مقصد النصّ محور هذا التفكير الريكوري حيث أن نقل نصّ ما مكتوب داخل لغة هدف أخرى، يصطدم بإشكالية إعادة صياغة المعنى . و قد جعل ريكور من مقوله "التكافؤ بلا هوية" مفتاح ترجمة وظيفية ذات بعد ثقافي حضاري فكان لكل عصر تأويلاته الخاصة به، وهذا ما فتح المجال لترجمات مكرّرة لنصوص تعدّ من عيون الفكر الإنساني.*

**مدخل:**

لقد بدأ "بول ريكور" **(Paul Ricœur)** رحلته مع الترجمة ممارسة سنة 1993، وذلك بترجمته لكتاب الفيلسوف الظاهراتي "أدموند هوسرل" **(Edmond Husserl)** الموسوم بـ: " **أفكار رئيسة لفلسفة ظاهراتية** " **(Idées directrices pour une philosophie phénoménologique)**. وهي الأفكار التي فتحت شهية "**ريكور**" لأن يعبّ من المعين الظاهراتي لفلسفة "**هوسرل**"، و ليفرز في نهاية المطاف، فرعا يانعا من شجرة الهيرمينوطيقا **(Herméneutique)**[1] ، به عرف "**ريكور**" في فرنسا، وقد جعل " **ريكور**" النص (Texte) مدارا للفهم، وفهم الذات على الخصوص **(La Compréhension de soi)**؛ عندما تقف هذه الذات أمام نص الآخر في لغته.

ويمكن إضافة عامل آخر، شدّ اهتمام " ريكور" إلى عالم الترجمة، و ما يحوم حولها من قضايا لسانياتية وفلسفية، وهو اشتغاله بترجمات الإنجيل المختلفة. و هي الترجمات التي أثيرت في أثرها إشكالات، تتمحور جلّها حول مسألتي الفهم**(Compréhension)** و التأويل **(interprétation)**. ومعلوم أن ترجمات الإنجيل هذه هي: الترجمة الإغريقية، من العبرية المعروفة بالسبعينية **(La septante)**. وكذا الترجمة اللاتينية للقديس جيروم

(**Saint Jérôme**) المعروفة بالفولقايت (**Vulgate**). وتضاف إليها الترجمة الألمانية لـ" **لوثر**" (**Luther**). وهي الترجمات التي عدها "**ريكور**"، من عيون ترجمات الإنجيل. فلقد استطاع "لوثر" من خلالها – حسب رأي ريكور–، أن يخلق بها ومن خلالها اللغة الألمانية من جديد. وقد اعتبر "ريكور"، أن مثل هذا العمل القيم الذي قدمه "**لوثر**"، لم يكن ليحصل عليه لمجرد "إنشاء مماثلات (**Comparables**)، عن طريق ترجمة الإنجيل إلى الألمانية فحسب، بل لكونه جعل الإنجيل ألمانيا (**Germaniser la Bible**) [2]. إذْ أصبغ " **لوثر**" على ترجمته للإنجيل، الروح الألمانية بعينها، حتى لكأنّ الإنجيل قد كتب بها أصلا.

ولم يكن " **ريكور**" و هو صاحب الفكر النقدي الهرمينوطيقي أن يدع تعامله مع عالم الترجمة، دون أن يكون له فيه تأثير أو بصمة من تفكير في مجال ما يزال حينها، بكرا في مجالي الفكر و الدراسات الترجمية الحديثين. ولقد حاول "ريكور" أن يتبصّر من خلال ممارسته الترجمية "**مسلكا**" [3]، يربط به بين التنظير والممارسة في مجال العمل الترجمي. فلطالما كانت الصلة مقطوعة بين المجالين، و ذلك بفعل تشدّد المنظّرين أمثال "**هومبولدت**" (**Humboldt**) (1767–1835)، هذا الأخير الذي رفع لواء الداعين إلى قلب ظهر المجنّ للترجمة، كونها عملية متعذرة الوقوع إلى حد الاستحالة. وهذا بسبب تباين اللغات و استحالة تقاطع مجالاتها اللسانياتية. ذلك أن "**اختلاف اللغات يوحي بالتنافر الجذري، الذي من شأنه أن يجعل الترجمة مستحيلة لأول وهلة**"[4].

وبينما في الطرف المقابل كان "**ريكور**" يرى خلاف ما جزم به "**هومبولدت**" من قبل، ذلك أن الواقع نفسه يُقرّ بأن النشاط الترجمي، قديم قدم العلاقات الإنسانية نفسها. فلقد وجد تجار و رحّالون، و سفراء و جواسيس... يقومون – بحكم عملهم– بعملية الترجمة، مع شعوب تختلف عنهم في اللغة. بينما نجد أن الاهتمام بالترجمة، باعتبارها علما مستقلا بذاته تنظيرا وممارسة، وهو" **علم الترجمة** " (**traductologie**)، وليد اهتمامات الفلاسفة والمفكرين، وعلماء اللغة... وكل قد ساهم في بناء أسس هذا العلم بحسب رؤيته للموضوع، أو بما يمليه عليه تخصصه العلمي. و فيما يتعلق ب "**ريكور**" فإنه تناول من جهته الفعل التُّرجمي (**Le traduire**)، من زاوية هيرمينوطقية صرفة، وقد تجسد ذلك في اهتمامه بالنص من منظور تواصلي، و أداته في ذلك، ما يسميه " **ريكور**": "**التكافؤ بلا هوية**" (**l'équivalence sans identité**).

**1. الترجمة تواصل! و لكن..**

**1.1– الترجمة و التواصل :**

ينظر "ريكور" إلى الترجمة على أنها عملية تواصلية بالأساس، تتمثّل في عمليتي التلقي و التبليغ. فالترجمة عنده، تلعب دور الوساطة (**médiation**) لتمرير رسالة ما من نسق لسانياتي إلى آخر. و مثل هذه الوساطة الموكولة للفعل الترجمي "هي المفارقة عينها،التي هي سبب وجود الترجمة و نتيجتها في الآن نفسه"[5].

ولا يخفى في هذا الصدد، التأثير الواضح لمفهوم التواصل عند "رومان جاكسبون (**Roman Jakobson**) على منظور "ريكور" للترجمة، باعتبارها عملية تواصلية، أو نتاجا لها. حيث يرى "ريكور" في الترجمة أنها لقاء مع الآخر. و هذا ما نلمسه فيما استفادة "**ريكور**" من خطاطة جاكبسون اللسانية[6]، و لكن بشيء من التعديل لتتلاءم مع نظريته في التأويل. فإذا كان التواصل "**يفترض إرسال رسالة من مرسل إلى مرسل إليه..**"[7]، فإنّه لا مناص لهذا المفهوم – و هو موظف في النشاط الترجمي– من أن يتعرض لشيء من التعديل، وهذا ليتلاءم مع طبيعة العمل الترجمي نفسه.

وعلى هذا الأساس، تتضح طبيعة الترجمة عند " **ريكور**"، و هي أنّ هذه الأخيرة، ليست مجرد تواصل لسانياتي أو لغوي بسيط، بل هي ذات طبيعة متعددة، من حيث المشارب و الوظائف. حيث تتقاطع في فضائها مستويات عدة: نفسية، اجتماعية، ثقافية و حتى فلسفية.

**2.1- أنواع الترجمة:**

وقبل الخوض في عرض بعض ملامح نظريته في الترجمة، يتقدم "ريكور" بخطوة منهجية، تتمثل في حصر مجال الدراسة. وبهذا الصدد نجده يميز بين نوعين رئيسين من النشاط الترجمي هما: "**الترجمة الداخلية**" **(traduction interne)** و الترجمة الخارجية **(traduction externe)** [8]. الأولى هي تلك التي تتم في إطار اللغة الواحدة. و أما الثانية فتتطلب على الأقل متكلمين بلغتين مختلفتين.

و مثل هذا التصور في تصنيف أنواع الترجمة نجده عنده "جاكبسون" حيث ذكرها في ثلاث مستويات[9] :

-الترجمة الضمن لغوية **(traduction intralingual)**: التي تتمثل في تأويل علامات لسانياتية، بواسطة علامات أخرى من اللغة نفسها. يجمعها في ذلك مبدأ الترادف التقريبي ( **principe de la synonymie approximative)**.

-الترجمة البينلغوية **(traduction intérlingual)**: و هي التي يتم في مستواها، تأويل علامات لسانياتية في لغة ما بواسطة علامات لسانياتية من لغة أخرى.

-الترجمة البينسيميائية **(traduction intersémiotique)**: و تتمثل في تأويل علامات لسانياتية بواسطة أنساق **(Systèmes)** علامات غير لسانياتية، كالرموز، الصور...الخ

و لعل عدم تخصيص "ريكور" الحديث عن الفرع الثالث، فلأنه يعتبره منضويا عنده، تحت النوعين الأول و الثاني[10].

**2. قضية "الأمانة"/ "الخيانة":**

إن مهمة الوساطة التي انتُدب لها المترجم، لا يراها "ريكور" بالمهمة السهلة. فالمترجم في واقع مهمته، يعمل على " خدمة سيدين: الأجنبي في مؤلفه، و القارئ في رغبة التملك ليده.." [11] و المترجم بين فهم المؤلف في أثره، والقارئ في تلقيه للعمل المترجم، يجد نفسه محاصرا بمفارقة، لا يكاد يخرج منها، وإن جاهد نفسه بروح الأمانة **(Fidélité)** في التلقي و التبليغ، فإن شبهة من الخيانة **(trahison)** ما تفتأ تنغّص عليه عمله.

وفي هذا الشأن، يلتمس "ريكور" مخرجا من هذا المأزق، من المنظور الهيمينوطيقي عنده: فالإشكال القائم في شبهة الوقوع في الخيانة التي تتهّدد المترجم، وإن ظل يحرص على التمسك بالأمانة، مصدره تمسك المترجم في الغالب بالمظهر الشكلي للغة، وبتعبير آخر، مراعاته لقواعد اللغتين؛ لغة المصدر **(langue source)** ولغة الهدف (langue cible). بينما يعزب عنه الواقع الخارج لسانياتي **(extralinguistique)** لكلا اللغتين، و هو واقع الممارسة. ومن ثمة يرى " **ريكور**" أن الترجمة في واقعها ترجمات **(pluralité de la traduction)**، تبعا لتعدّد اللغات، الإيحاءات، المرجعيات، رؤى العالم، التقاليد و الثقافات. ويعتبر " ريكور" أنّ هذا الأمر قائم حتى على صعيد اللغة الواحدة؛ فالكاتب وهو يُقْدم على كتابه نص معين، يكتشف في نهاية الأمر أن الكتابة قد أخذت بيده إلى إنتاج نص مختلف أو على الأقل ليس ذلك الذي كان يجول في خاطره عند شروعه في فعل الكتابة،

أي أنه انتقل من حالة كتابة نص، إلى حالة نص الكتابة، أو " **نص النص** ". فما بالك بترجمة نص مكتوب بلغة معينة، و العمل على إعادة كتابته **(réécriture)** بلغة أخرى مغايرة ؟

ويكمن حل الإشكال عند " **ريكور**" حينئذ في القبول بواقع الترجمة المتعددة للنص الواحد. ولتصبح الترجمة وفق هذا التصور عملية إعادة بناء الوحدة المتنوعة للخطاب الإنساني. و هو يُضفي عليها بعدا أخلاقيا قائما على حسن ضيافة لغوية **(l'hospitalité langagière)** بين اللغات.

وقد وجد "ريكور" في هذا الطرح ما يعضد به ثنائيته "**أمانة/خيانة**"[12] ليناقش من خلالها الفعل الترجمي في بُعْديه اللغوي و الأخلاقي. غير أن "ريكور" وقد قدم فكرة أن الترجمة خطوة الإنسان نحو لقاء إنسان آخر، فهي بهذا الملمح بمثابة تواصل بين الإنسان**(communication interhumaine)**، التي تجمع الأنا و الآخر في فضاء واحد، يسوده أخلاقيات حسن الجوار والاحترام المتبادل، مثل يحدث أو من المفترض حدوثه بين الجيرة المتحضرين. أو ليست اللغة بمثابة مسكن للإنسان؟

**1.2- اللغة مسكن الإنسان :**

يسترفد "ريكور" لمناقشة مسألة الأمانة/الخيانة، شيخ المترجمين و أحد الهيرمنوطقيين الكبار البارزين، وهو: " **ف. شلايرماخر**" (F.Schleirmacher) (1768-1834). حيث توصل "**ريكور**" من تحليله لأعمال "**شلايرماخر**"، وبالخصوص ترجماته لآثار أفلاطون (Platon)، إلى استخلاص معادلة، يستهدي بها المترجمون في أعمالهم الترجمية، و هي عبارة "شلايرماخر" الشهيرة، التي يرسم فيها عمل كل مترجم، وهي: " **اقتياد القارئ إلى المؤلف، و اقتياد المؤلف إلى القارئ.**"[13].

فالمترجم – وهذا هو نشاطه – يضع لغتين أجنبيتين على صعيد واحد، يضمهما حيز مشترك. و هذا ما يجعل الترجمة عند "**شلايرماخر**" متصلة اتصالا شديدا بفعل التفكير (l'acte de penser) في حد ذاته[14] وهو ما ذهب إليه "ريكور" عند قوله : " إنّ المؤلف الأجنبي و قارئه، يسكنان اللغة نفسها، وهي اللغة بعينها التي يسكنها المترجم ذاته "[15]. فهذا الكلام – على ظاهره – يشي بالخط الفكري المنتهج من لدن "**ريكور**" في تصوره للترجمة.

وكون اللغة "**مسكن**" الكائن البشري (De-sein)، فإن وضعها هذا هو الذي يجعلها ضميمة للفكر البشري؛ حيث ترتبط بوجود وكينونة الإنسان نفسه، بل لا يُعدُّ من المبالغة، القول: إن اللغة هي الكينونة الإنسانية بعينها. وتعد فكرة أن "اللغة مسكن الإنسان"، من القضايا الأساس في الفكر الهرمينوطيقي. و من الطبيعي أن تتأكد المسألة عندما يتعلق الأمر بالترجمة حيث علاقة لغة بلغة أخرى و من ثم يصبح " **التفكير في طبيعة الترجمة، وطبيعة اللغة ذا أهمية قصوى لدى المنظرين في حقل الترجمة لا لأنه يشير بالضرورة إلى ضرب مختلف من المقاربات، ولكن لأنه يعمق و يوسع الإطار التصوري الذي نوظفه في التعريف بهذا الحقل على وجه التحديد**"[16].

فأن تكون اللغة بمثابة السكن (demeure)، فمعنى هذا؛ أن اللغة قد خرجت عن كونها مجرد وسيلة للتكلم، لتصبح هي الإنسان ذاته؛ يسكنها و تسكنه. و ليقول حينئذ، هذا الإنسان، الكائن البشري: "**أنا اللغة و اللغة أنا**"، واللغة في هذه الحالة هي التي " تتكلم الإنسان، لا هو الذي يتكلمها"[17]. و بتعبير موجز، فإنّ اللغة هي حياة الإنسان، وهي موته في الآن نفسه. ومن هذه الزاوية ينظر "ريكور" إلى واقع اختلاف اللغات، على أنه عامل

قوي، وسبب بارز لوجود الترجمة، بهدف تحقيق التواصل البشري فكرا وحضارة. فاللغة و الألسن والترجمة هي قوام سيرورة بناء المعنى وتشكيله.

وقد اعتبر "ريكور"، أن مثل هذا التصور الذي وضعه للترجمة، يشكل مصدرا أساسيا لنماء اللغات الإنسانية وإثرائها. وهذا بفعل ما تحمله هذه اللغات الإنسانية، من تجارب و تصورات مختلفة، تنتقل بفعل المثاقفة من لغة إلى أخرى، بله من ثقافة إلى أخرى. فاللغات الإنسانية عند "**ريكور**"، "**لا تختلف فيما بينها تبعا لاختلاف طريقة كل منها في تقطيع الواقع فحسب، بل في إعادة تشكيل هذا الواقع في مستوى الخطاب أيضا.**"[18] و لعلّ هذا ما يدل على مدى قوة العلاقة الجدلية بين اللغة و الواقع من جهة، و بين اللغة ومستعمليهما من جهة الأخرى.

وليس من مهمة المترجم حينئذ – حسب " **بول ريكور**" –، البحث في نقل المعنى بحرفيته من لغة إلى لغة أخرى، بقدر ما يكمن دوره في السعي إلى تيسير عملية الفهم و التواصل بين الشعوب. وهذا انطلاقا من مبدأ أن فهم الذات لنفسها في وجودها، يستند أساسا إلى فهم هذه الذات نفسها للآخر في وجودها. و لعل أهم صورة من صور وجود الإنسان هي اللغة نفسها؛ حيث أنها ليست في مظهر من مظاهرها إلا تعبير عن وجود الإنسان بقوة في هذا العالم. وقد أحسن " **ريكور**" بتشبيه اللغة – لغة الأم– بالجسد إلا أنها جسد كلامي(corps verbale)؛ فكما أن الإنسان يكتشف أجساد الآخرين انطلاقا من جسده، ومن ثمة يزداد معرفة بجسده هو، كذلك العلاقة بين اللغات الأجنبية واللغة الأم، فهذه الأخيرة و هي الجسد الكلامي، لا تحبس الإنسان ضمن حدودها بقدر ما تجعله ينفتح نحو اللغات الأخرى ليزداد بذلك غنى بمعرفة لغته فضلا عن اللغات الأخرى. وبهذا جعل " **ريكور**" اللغات كلها على صعيد واحد، ليس للغة فضل على أخرى، متجاوزا بذلك النظرية العرقية في الترتيب المتعالي للغات.

وبشكل ضمني يرسم "**ريكور**" بهذا الفهم والتصور للعلاقة بين اللغات منهجا وهدفا للترجمة، حيث جعل منها أداة للحوار الفكري، و الحضاري، تنمي التواصل السلمي بين بني البشر. ولـ" تغدو الترجمة و الحال هذه، اللحظة المُفضلة لإعادة بناء الوحدة الجامعة لتعدد الخطاب الإنساني، فاتحة بذلك السبيل لأخلاق الضيافة اللغوية **(l'hospitalité langagière)** ." [19] و هذا ما يبرر حسب "ريكور" الترجمات المتكررة للأعمال الإنسانية الخالدة عبر عصور متعاقبة. و لكل عصر ترجمته القائمة على فهم العمل بحسب التجارب الفكرية والإدراكية لذلك العصر. و هذا طبعا بالمعنى التاريخي و الانطلوجي و الابسموتوجي[20].

إنّ الترجمة، وهي عملية تأويل وتفسير **(interprétation)** هي التي تباشر فهم النص ومساءلته، بوساطة فعل القراءة. وهو فعل هيرمينوطيقي بالأساس. وعليه فلامناص لـ " قراءة نص ما من أن تُصطنع على الدوام داخل طائفة، داخل تقاليد، أو داخل تيار فكري حي، الذي يطور المسلمات **(présupposés)** **[ المفترضات]** و الاقتضاءات **(exigences )**"[21] .

ولهذا ينتظر "ريكور" من المترجم أن يمسك بخيوط النسيج النصي للعمل المزمع ترجمته، بحيث يقف في الآن نفسه،على جدلية انغلاق النص على نفسه ضمن بناء لغوي من جهة و انفتاحه على مرجعه الذي يسمح بتجاوزه إلى دلالات جديدة يسمح بها السياق من جهةأخرى. وهي العلمية التي يسميها علماء النص بتحيين النص(**actualisation du texte**)، وهي الخطوة الأولى و الأساس نحو تأويل النص وتفسيره عند " **ريكور** " أي التي تُرجع للنص أشياءه. فما موقع الترجمة من تأويل النص، أو بالأحرى ما موقعها النص وأشيائه؟

**3. الترجمة و "شيء" النص:**

**1.3. النص و النصية عند "ريكور":**

يعتبر "**ريكور**" النص من جانبين هما : البعد اللغوي أو اللسنياتي و البعد الدلالي. فأما البعد اللغوي، فقد استند فيه "**ريكور**" على نظرية "بنفنيست" **(E.Benveniste)** حول "**الكليات اللغوية**" القائلة بأن "اللغة تعتمد على نوعين من العمليات، و هما الاندماج في كليات أكبر، و كذا الانقسام إلى الأجزاء المكونة. حيث يتولد المعنى من العملية الأولى، و الشكل من العملية الثانية[22] و من هذا التصور نحصل على الوحدات الآتية : الفونيم، اللكسيم **(Lexème)**، الجملة، و النص. علما أن الوحدة الأعلى، لا تعني مجموع الوحدات الدنيا، بل هي شكل مميز في حد ذاته(23). و أما البعد الدلالي، فيتمثل في النظر إلى النص على أنه كل متكامل. و هو بهذا، ذو استقلالية فيما يتضمنه من رؤى، و تصورات، يطلق عليها "ريكور" "شيء النص **(La chose du texte)**، (24) حينا وعالم النص **(Le monde du texte)**[25] حينا آخر. حيث "يتكلم النص عن عالم ممكن وعن طريقة ممكنة يوجد بها المرء ذاته فيه و أبعاد هذا العالم يفتحها النص و يفضحها معا النص نفسه"[26] .

ولكن ما النص الذي يعنيه "ريكور" ؟ يجيبنا "**ريكور**" معرفا النص بقوله:" لنُسمّ نصا كلّ خطاب مثبت بواسطة الكتابة (l'écriture) " [27] أو بتعبير آخر، النص خطاب مكتوب؛ و الكتابة هي عماد النص و شرط وجود الخطاب مرقوما أو مسطرا. و لكن الكتابة التي يزعمها "ريكور" المنشئة لعالم النص بداية و نهاية، هي الكتابة الأثر (trace)، الكتابة الخط[28].

ويناقش "ريكور" مفهومه للكتابة الذي هو مفتاح نظريته للنص، عن طريق مقارنة يعقدها بين الكتابة والكلام. فعلى منوال مقولة "**هـ.ج. جادامير**" **(H.G. gadamer)**، "الكائن البشري يتكلم" يرى " ريكور" أنه يمكن نسج عبارة "الكائن البشري يكتب" بل "**ينكتب**". فالكتابة بهذا الطرح صنو الكلام، لا تقييد له فحسب، كما يعتقد هذا الرأي كثير من الناس. ذلك "**أن التثبيت بالكتابة يحدث مكان الكلام نفسه أو بدلا منه**"[29]. حيث يرى "**ريكور**" أنّ الكلام و الكتابة، و إن كانا يشتركان في نقطة أساس، و هي إرسال رسالة ما، فإن فارقا جوهريا يفصل بينهما وهو " ما تجلبه الكتابة من التنائي **(distanciation)**، يفصل الرسالة عن متكلمها، وعن مقامها المبدئي وعن المرسل إليه الأولي[30]. بيد أن الموقف الكلامي الحواري تتعاضد فيه هيئاته **( instances de la parole)** [31].

فإذا كان الأمر كذلك بين الكلام و الكتابة، ففيم الكتابة فاعلة بالخطاب، و ما شأن هذا الأخير بها و الحال أننا نعلم، أنّ الخطاب نشاط لغوي لأفراد مندرجين في سياقات معينة ؟ [32]. يرى "ريكور" أنّ الكتابة تحررت، من كونها مجرد نسخ لعلامات الكلام و أخذت تحتلّ مكان الكلام نفسه. و هو ما يعد عقدا لميلاد النص"[33] ومن هذا فالكتابة معنية أصلا، بالقصد **(l'intention)** المبرّر العملي، لعلاقة الكتابة بالخطاب. فـ"الخطاب يعتبر قصدا للقول و الكتابة تسجيلا مباشرا لهذا القصد"[34] و تعتبر الكتابة بهذا استبدالا للحوار الشفوي.

**2.3.النص الكتابة/النص القراءة:**

إنّ اهتمام "ريكور" بالكتابة دون الكلام يدخل ، من باب اهتمامات الرجل الفلسفية.. فالكتابة و هي نسق من الآثار (traces) تضمن للخطاب دوامه و للنص ديمومته ما بقيت الكتابة[35] بحاجة إلى آلية تفك رموزها بحثا عن ذلك القصد، و هذه الآلية هي القراءة (Lecture). بيد أنّ العلاقة " الكتابة–القراءة " مخصوصة، حيث أن غيابا يحصل للمؤلف ساعة قراءة ما كتب، و غيابا يحدث للقارئ وقتما كتب ما يقرأ. و هكذا يغدو " النص المُنْتج

احتجابا مزدوجا للقارئ و المؤلف، و بهذه الكيفية يصبح بديلا لعلاقة الحوار التي تربط تواصل أحدهما يسمع الآخر "[36].

غير أن هذا التشخيص الذي مَوْضع به "ريكور" النص لا يخلو من إثارة إشكالات عدة، سواء على الصعيد اللسانياتي، أو الفلسفي و الهيرمينوطقي. و لعل مصدر تلك الإشكالات، هو قضية المعنى (sens) والدلالة (Signification). أو ما يمكن أن نطلق عليهما: المعنى اللفظي للنص و القصد الذهني للمؤلف. و لندع "ريكور" يعالج الإشكال من زاويته حيث يقول : " **إن قدرة الخطاب على الإحالة إلى الذات المتكلمة في الخطاب المنطوق سمة بديهية، لأن المتكلم ينتمي إلى سياق القول المتبادل**[...] **لكن قصد المؤلف و معنى النص يكفان عن التطابق و التمازج في الخطاب المكتوب**[...] **و هكذا تفلت وظيفة النص من الأفق المحدود الذي يعيشه مؤلفه، و يصبح النص يعني [ بفعل القراءة] أكثر مما كان يعنيه المؤلف حين كتبه** "[37].

ف"**ريكور**" بهذا الطرح، يؤسس مبدأ أساسا و جوهريا قامت عليه تأويليته النصية، و هو مبدأ "**الاستقلال الدلالي للنص**"، حيث يغدو التأويل "**حالة خاصة من الفهم، الفهم حين يطبق على تعبيرات الحياة المكتوبة** "[38] ويصبح الفهم حينئذ كتابة (ثانية) لقراءة أو على حد تعبير بارت " **كتابة القراءة** " **(Ecrire la lecture)** [39].

**4. حدود الترجمة عند "ريكور" :**

**1.4 حلم الترجمة الكاملة:**

يتجلى لنا النص مما سبق عرضه، أنه حمّال أوجه، لا يقف عند معنى واحد بعينه. فهو و الحال هذه " **يتكلم عن عالم ممكن، و عن طريقة ممكنة، يوجه بها المرء ذاته فيه** "[40] ولذا فإنّ الاعتقاد في إمكانية وجود ترجمة تامة أو حرفية **(Traduction littérale)** أمر غير وارد مطلقا. ذلك أنّ المعنى الذي تصب الترجمة عليه اهتمامها، لا ينبثق من اللفظ في حد ذاته، بل هو نتاج حوار اللفظ مع الموقف و الفكر و الوجود. و على هذا لا ينظر "ريكور" إلى اللغة " **بوصفها وسيلة تعبير أو إبلاغ، بل بوصفها الوجود و التجلّي...**" [41].

وكون اللغة بهذا البعد الهيرمينوطيقي، هي "اللغة الخالصة" **(langage pur)** و النص في هذه الحالة في تجاوز سرمدي لمقصد صاحبه. و عليه يرى "**ريكور**" أنّ للمترجم دورا، غير ذلك الذي يُناط به في العادة، وهو أن يلعب دور الوسيط **(médiateur)** بين الكاتب و القارئ، وهو بهذا يضطلع بدور محوري بين الثقافات والحضارات الانسانية. وهذا ما يجعل " **الترجمة تأبى أن تكون مجرد عملية نقل من لغة إلى لغة، إلى أن تكون عامل تأسيس لانطولوجيا فهم الكائن [ البشري] في التاريخ** "[42]. هذا الكائن البشري الذي لا يتوقف عن فعل الفهم؛ فهم العالم، و فهم نفسه. فحدود الترجمة إذا ليست قيودا، بقدر ما هي انعتاق نحو تحقيق الوظيفة العملية للنصوص، ضمن التفاعل الحضاري الإنساني، الذي يعد بوابة الهيرمينوطقيا نحو العالمية.

**2.4 التكافؤ بلا هوية (l'équivalence sans identité)**

لعلّ أهمّ عامل دفع بعلم الترجمة **(traductologie)** إلى التطور، هو البحث المقارن في التغيرات والاختلافات القائمة بين الترجمة و الأصل. وهو البحث المتمثل في مقدار مستوى تكافؤ **(l'équivalence)** نص الوصول **(texte d'arrivée)**، قياسا بنص الانطلاق **(texte de départ)**. فكم من حبر سال في هذه القضية، وكم من صفحات دُبجت في منا قشاتها منذ سبعينيات القرن الماضي إلى يومنا هذا، و إن شهدت الوتيرة مسارا تنازليا.

ويعرف التكافؤ **(équivalence)** بأنه "علاقة التماثل الموضوعة في "الخطاب" بين "وحدتي ترجمة" **(unités de traduction)** للغات مختلفة حيث تصبح الوظيفة الخطابية مماثلة أو مماثلة تقريبا"[43]. فالتكافؤ أو التماثل يتموقع في الخطاب، و من ثم وجد فيه "ريكور" ضالته لبلورة نظريته في الترجمة. و بما أن تحقيق المماثلة بشكل كامل متعذر للأسباب المذكورة آنفا، فإنّ المماثلة بالتقريب هي التي تصبح عملية، بل وظيفية **(fonctionnelle)**. ذلك أن "الفارق يستحيل تجاوزه بين ما هو خاص و ما هو أجنبي"[44]. و الحال أن التكافؤات، لم تُوضع إلا لتتماثل- بالتقريب- مع " معنى" نص الانطلاق **(texte de départ)**، و هذا مع معرفة مُحيطة، باللغة و الوقائع التي يستند إليها نص الانطلاق، إضافة إلى مراعاة تحقيق شروط التواصل ووظائفه لدى نص الوصول **(texte d'arrivée)**[45].

وعلى هذا الفهم للترجمة من حيث طبيعتها، ووظيفتها دلف " **بول ريكور**" إلى الحديث عن إشكالية ثنائية: أمانة/خيانة باعتبارها معضلة عملية، قائمة في قلب الممارسة الترجمية ذاتها. ويرى " **ريكور**" أنّ هذه القضية صادرة عن عوز لمعيار موثوق فيه، و هو ما يطلق عليه في أوساط المترجمين بـ" **المعنى نفسه** " المتواجد فوق وبين نص الأصل ونص الوصول[46]. و لكن بما أنّ هذا " **المعنى نفسه**" متعذر الوقوع، تبقى الترجمة الجيدة عند "**ريكور**"، هي التي يكفيها الحصول على" **تكافئ مُفترض، غير مؤسس على هوية لمعنى قابل للبرهنة عليه، تكافؤ بلاهُوية (identité)**." [47].

ويريد "**ريكور**" بكلمة " هوية " في هذا المجال المماثلات التي لها " قرابات ثقافية تخفي في طياتها الطبيعة الحقيقية للتكافئ"[48] و يكون لتلك المماثلات في لغة الاستقبال أو لنقل في ثقافة الاستقبال التأثير الفكري والثقافي نفسه، وهذا ما يطلق عليه " المقارنة البناءة " **(comparatisme constructif)** [49]. و هكذا يصبح معنى التكافئ بلا هوية الذي اقترحه "ريكور" متلائما مع نظريته في التأويل.

وبما أنه قد عُفي عن مصادر تلك المماثلات أو "التكافؤات" الأصلية، و لذلك أصبحت ميراثا إنسانيا مشتركا، فقد فقدت جراء هذا هويتها الأصلية، و غدت ملكا مشاعا للإنسانية جمعاء، ويحق للمترجمين جميعهم تبنيها على حد سواء. و لهذا يدعو "ريكور" إلى إنجاز مسرد **(Glossaire)** لكل "التكافؤات بلا هوية" تلك.

ومن بين العقبات التي تعترض طريق المترجم أيضا التكافؤ التصوري (équivalence conceptuelle)، وهي العقبة التي تُنسب في غالب الأحيان إلى النص المصدر(texte source). حيث يتعين على المترجم، الحرص على نقل" واقع " هذا النص من بناءات ثقافية وأيديولوجية،...الخ. وباختصار، هوية النص المصدر التي تُعدُّ من أكبر الرهانات التي يطلب من المترجم أن يأخذها في الحسبان، و التي تعكس بقليل أو بكثير حجم مسؤوليته الأخلاقية في عمله التُّرجمي.

وباقتراحه لفكرة " **التكافؤ بلا هوية** "، يكون "بول ريكور" قد فتح بابا يسمح بالتواصل بين مختلف ثقافات وحضارات العالم قديمها و حديثها. متجاوزا بذلك فكرة تعالي و هيمنة ثقافات على أخرى أو لغات على أخرى تبعا للنظرية العرقية الذائعة الصيت حينها. و إذا كان فهم الآخر "الأجنبي" عند " **ريكور** "، دافعا للقاء الثقافات، فإن فهم الذات الذي يتم بوساطة فعل الترجمة، هو التغذية الراجعة **(feed back)** التي يتلقاها المترجم في الوقت نفسه. و تلك هي إذا نظرية ال"سكوبو" (Skopos)، التي تنظر إلى الترجمة على أنها إحدى العناصر الأساس للدينامية الثقافية المحققة للتواصل البين ثقافي **(communication interculturelle)**.

**خاتمة:**

ولعلّ أهم فكرة خرج بها "**ريكور**"، هي عبارته الشهيرة " **الضيافة اللغوية**" **(hospitalité langagière)** التي هي عنده واحة المترجم، التي يجد فيها سعادته. حيث " **أنّ متعة السكن في لغة الآخر، تعوض بمتعة استقبال كلام الأجنبي في البيت الخاص.**" (50) فالمترجم الجيد عند "**ريكور**" هو من لا يقنعه السكن في لغة واحدة، بل يجد سعادته في استضافة لغة الآخر، و يسمح له بالتعبير عن ذاته، و بلغته.

كما يمكن للمترجم في الجهة المقابلة أن يعبر عن ذاته بلغة الآخر. وبهذا نقل "**ريكور**" قضية الترجمة من إشكالية ثنائية" **القابل للترجمة/ المتعذر ترجمته**"**(traduisible/ intraduisible)**، وهي إشكالية فكرية وفلسفية بالماهية والجوهر، إلى حقل عملي وتطبيقي مشهود وملموس بل و معيش؛ وهو بناء المماثلات **(construction des comparables)**. ولتصبح الترجمة وفق هذا التصور ذات توجه عملي ممارساتي، بدلا من أن تبقى تراوح مكانها، في ميدان الطروحات النظرية.

وإن كان" **بول ريكور**" لم يرسم خريطة لترجمة تطبيقية، فحسبه، أنه عالج الموضوع بفكر علمي و عملي، فتح به مجالا خصبا وواعدا لترجمة وظيفية تخدم الإنسانية. و لقد كانت آراؤه النظرية ومقترحاته العملية بمثابة الخطوة النوعية التي ساهمت في خلق بعد جديد للوساطة بين الثقافات الإنسانية التي جعلها أقدس مهمة للترجمة وأنبل رسالة للمترجمين. و حسبه أنه أعاد ترتيب بيت " مقام البُعد" **(l'auberge du lointain)** كما كان يحلو لفقيد الترجمة أنطوان بيرمان إطلاقه على الترجمة.

**الهوامش و الإحالات:**

**1-** voir : Paul Ricœur, du texte à l'action essais d'herméneutique II Paris, ed du seuil 1986.
و هذا الكتاب تكملة للكتاب الأول المرسوم بـ:"صراع التأويلات"-
"le conflit des interprétations essais d'herméneutique I Paris, ed du seuil 1969.

**2-** Paul Ricœur, sur la traduction. Paris, ed Bayard, 2004 pp 66.67.

**3-** Ibid p 53.

**4-** Ibid pp 53.54.

**5-** Ibid p 53.

**6-** voir Jean Dubois et autres. Linguistique et science du langage. Paris, larousse. 2007. pp 94.97.

**7-** Roman Jakobson. Essais de linguistique générale. Paris, ed de minuit, 1963 p 79.

**8 -** Paul Ricœur, op cit p 46.

**9 -** Roman Jakobson op cit 1963 p 79.

**10-** Paul Ricœur, op cit pp48.49.

**11-** Paul Ricœur, op cit p 09.

**12-** Ibid.

**13-** Ibid.

**14-** voir F.Schleimacher. des différentes méthodes du traduire Trad Française, Paris. Ed seuil.1999.

**15-** Paul Ricœur,op cit p 09.

**16-** إدوين غينتسلر. في نظرية الترجمة: اتجاهات معاصرة. ترجمة سعد عبد العزيز مصلوح. بيروت لبنان. المنظمة العربية للترجمة ط1 2007 صص 347.348.

**17**- يحبذ "هيدجر" (Heifeger) بهذا الصدد استخدام مصطلح "كلام" (parole) بدلا من لفظة "لغة" باعتبار أن الكلام يحمل بصمات متكلمه و منه يأخذ الخطاب (discours) مفهوما مميزا لدى معشر الهرمينوطيقيين أمثال "جادامير"، "ريكور"، "نوكو" صاحب مقولة "الوجود في اللغة".

**18**- Paul Ricœur, op cit p 54.

**19**- Voir, Paul Ricœur, op cit pp.19-20, et 42-43.

**20**- ينظر للتوسع "الهرمينوطيقا و الترجمة" في "الهرمينوطيقا و الفلسفة" (نحو مشروع عقل تأويلي) لـ عبد الغني بارة. منشورات الاختلاف/الجزائر-الجزائر- الدار العربية للعلوم ناشرون. بيروت-لبنان. ط1 2008، ص 103-115. وكذلك: "الترجمة الهرمينوطيقا" لمصطفى العريصة، في:"الترجمة في الآداب و العلوم الإنسانية (الواقع والآفاق). منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية أكادير 1999 صص 71،76.

**21**- Paul Ricœur, Le conflit des interprétaions , Paris, éd du Seuil,1969, p.7.

**22**- بول ريكور: نظرية التأويل-الخطاب و فائض المعنى-المركز الثقافي العربي المغرب/بيروت لبنان. ط1 2003 ص32.

**23**- ينظر - م، ن. ص، ن.

**24**- Paul Ricœur, du texte à l'action, Paris, ed du seuil, 1986, pp 140-145.

**25**- Ibid, pp 125-129.

**24**- بول ريكور: نظرية التأويل، مرجع سابق، ص140.

**27**- Paul Ricœur, op cit p 154

- ينظر :

Roland Barthes, de l'œuvre du texte" Bruissement de la langue. Paris édition du seuil 1984. pp 71-80.

**28**- ينظر: عبد الغني بارة، الهرمينوطيقا و الفلسفة، مرجع سابق، ص 362.

**29**- Paul Ricœur, du texte à l'action op cit p 154.

**30**- Ibid p 140.

**31**- Ibid p 155.

**32**- ينظر مادة "الخطاب" (discours) لدومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب. ترجمة: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف ط1 2008 الجزائر ص 38.

**33**- Paul Ricœur, op cit p 156.

**34**- Ibid.

**35**- voir Paul Ricœur, "Herméneutique philosophique et Herméneutique biblique" in du texte à l'action op cit pp 133.148

**36**- Paul Ricœur, op cit p 155.

**37**- Ibid. pp 154-155.

**38**- Ibid. pp 159-162.

**39**- Roland Barthes : Bruissement de la langue. Édition du seuil, Paris. 1984- pp 33. 56.

**40**- بول ريكور: "نظرية التأويل"، مرجع سابق، ص140.

**41**- عبد الغني بارة: الهيرمينوطيقا و الفلسفة، مرجع سابق، ص 109.

**42**- المرجع نفسه ص 108.

**43**- Jean Delisle et autres : Terminologie de la traduction (équivalence p 36).

**44**- Paul Ricœur : sur la traduction, op cit p 62.

**45**- Voir, Ibid.

**46**- Ibid 60.

**47**- Ibid 60.

**48**- Ibid p 62.

**49**- Ibid p 63.

**50**- Ibid p 21.[177032215689083:0]+@